

## ذات العشرة عقود فاطمة بنت عبد الحميد المغربي



فلان بن فلان عاش بطول الحياة وعرضها — كما يقال — كان طفلاً مدلاً ثم فتى جسوراً ، فشاباً ملأ الحياة فرحاً و سروراً ، قيل له تلك السعادة في القمة فحُث قدمك و تسلق ، فما كان منه إلا أن توكل على بارئه وشمر ساعديه واتكأ على عصاه فتسلق دنياه وبنى طموحه على صخر الجبال ، فلما اشتد ساعده وقوت شكيمة ، أرسى سفنه في بيت عمدانه من الخيزران والبان فرزق بأشبال كالأسود لكن نفسه تافت للورود فأكثر من السجود حتى ينال المقصود لم يعلم بأنها ستكون سعادته و تكون ابتلاءه فلقد رُزق بوردة لكنها ذبلت قبل أن تنضج ، طفلة جميلة لكنها من ذوي الاحتياجات الخاصة — أو ما يعرف بمتلازمة داون — فحمد الله وقال وردتي كُتِب لي أن استنشق عطرها وحدي ولا يشاركني فيها أحد نظر يمناه و يسراه واحتقر كنزه الذي بين يديه فهو لا يستطيع جلب الشفاء ، عاش سبع سنوات وقلبه على جناح طائر كل صباح يخلق معه لبساتين السعادة فبسمتها تجفف عناء تعبها وبفطرتها تسقيه سهولة دنياه ... لكن هي ابتلاء أيضاً.

ففي يوم أتاه ابنه الكبير قائلاً : لابد أن تتعلم هذه الوردة لين الحياة و قسوتها لابد من فراقها لك سويغات حتى يطلب عودها وترى مجدها ، وبعد تفكير عميق وضيع لحال قادم مجهول وإصراراً من الأسرة وافق وشرع في إكمال أوراق التسجيل وهو يجر قدماً ويثني أخرى ، وفي ليلة و ضحاها ارتدت ثوب سعادتها وحزنها ثم خطت خطواتها تشق طريقها للعالم المجهول، كانت في رهبة من المجتمع الجديد وفي معزل بعيد لكن قُدت لها الأيدي حتى غاصت في معتكرات الحياة فذابت في تلك المياه، ويوما بعد يوم كانت تأتي بالحكايات والروايات، وقصة هذا و ذاك و، الوالد الخنون يسجل ما تقول كذكرى لها فلربما في يوم تقرأ ما سجل.

حتى أتى ذلك اليوم الذي وقفت بطولها الممشوق وحزنها المبتور فعرف المقصود ، نظر فإذا غصن البان بعد ما مال وزان، فإذا بها قد تكسرت ثم انشنت وتمتمت وبعبارات مخنوقة قالت: هل أنا معاقة؟ لما يضحكون على أفعالي، ويغرسون شوكا بفؤادي؟ هل أثقلت جانبك؟ كل هذه التساؤلات كانت خناجر الكلامية تقع هدت ذلك الهزير الجريح هزاً، وألجمته إلجماً ، ثم التفت إلى أختها: لستم كأبي حبه سار بدمي وظله اكتنف ظلي لأجل ذاك سأرتحل فما عدت للحياة بمكترثة لقد مضت عشر سنين من عمري وأنا أسمع عبارات التشهير والتجريح، ونظرات الشفقة ، أخذوا لعبتي ورموا دمي، يقولون عني: هي لا تعي! وتقول أُمي لا تلمسي ،صرت جرثومة الكل منها يتقي ، يا أختي ملء الحياة تكدرت سيرتي وعلني في رحيلي أرجع الحياة لمسكني.

نظرت إليه فنظر إليها نظرة المحتار المتفكر فسأل:

من أنت يا بنيه؟ ومن أنا يا ترى؟

ثم سار وفتح الأبواب وسأل الجيران: من أكون؟ وما هذه الحدود؟

قالوا له أنت فلان بن فلان! لكنه أجاب: لكنني لا أعلم لا أعرف من أنا!

كل ما أعرفه أنني لم أكن الجدار الذي يستر وردته، ولم أكن الحصن الذي يحمي براءتها، هاتوا لي وردتي وخذوا كل ملذاتي، دعوها تعيش ، ما شأنكم؟ لم تكن نقطة سوداء في أوراقكم ، لقد اخرجت ما خبأتموه من سوء أخلاقكم! ما ذنبها إن خلقت هكذا؟ وكُتِب في قدرها أن تعيش بلا قيود ولا حدود ؟ هي مطري فلا تبنا لها سدود هي موطني وليس له حدود هي طفلي ذات العشرة عقود.

فاطمة بنت عبد الحميد المغربي